

وزيرة خارجية تقامر بعلاقات بلادها مع أهم دول الجوار

أرانشا غونزاليس لايا

مسؤولة إسبانية تراكم الأخطاء بالجملة في زمن قياسي



● موقف غونزاليس لايا يبدو مقترا إلى الحكمة والاعتزان في تبريرها لاستقبال غالي، والجميع يتساءل؛ كيف تم إدخال شخص مطلوب من طرف القضاء الإسباني بتلك الطريقة التي يتم بها تهريب المخدرات؟



● الرباط تذكر الوزيرة الإسبانية بأفضال المغرب الكثيرة على بلادها، بإشارتها إلى أن المغرب، وعندما كانت إسبانيا في أوج الأزمة الاقتصادية، قدم إعفاءات لاستقبال العمال الإسبان لتيسير ممارسة نشاطهم على أراضيهم.

وعلى الرغم من الأزمة الاقتصادية والوباء، إلا أن غونزاليس لايا، تقول إنها حاولت إيجاد الوقت والطاقة للانخراط المكثف في إنتاج استراتيجية جديدة للسياسة الخارجية، وكان كلامها عن إضعاف نظام التسوية السلمية للنزاعات، وأنه عندما تكون هناك مشكلة نخرب في حوار، مجرد لغو سياسي، حيث أنها فشلت في تدبير الأزمة الحاصلة بين بلدها والمغرب، ولم تلقت إلى أن جوهر المشكلة هو مسألة ثقة تم تفويضها بين شريكين، كما يقول المغرب ردا على حكومتها، إضافة إلى دوافع خفية لإسبانيا معادية لقضية الصحراء، القضية المقدسة لدى الشعب المغربي.

ومنذ أن تولت منصبها بقيت تركز أنها كرست الكثير من الجهود مع نظرائها في الجوار الجنوبي، لصياغة استجابة أو استراتيجية تعمل لكلا الجانبين، على أساس من المسؤولية، حيث تتشارك إسبانيا مع المغرب تاريخيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا وتجاريا، فكيف ستوازن وزارة الخارجية الإسبانية بين الحاجة إلى استدامة العلاقات الثنائية ولكن في نفس الوقت تناور ضد عوامل إنجاح تلك الاستدامة؟

بعد الأزمة الاقتصادية لعام 2008، كانت إسبانيا متشغلة للغاية بحل الأزمة، وكان عليها أن تبذل الكثير من الطاقة السياسية في محاولة لحل المشاكل التي أحدثتها الأزمة، وبطريقة ما كانت لديها طاقة أقل لتكريسها للسياسة الخارجية، وعندما تولت منصبها الحكومي في العام 2020، أردت التعبير على أننا نشعر بالثقة وأن الأزمة الاقتصادية أصبحت وراءنا ونريد أن ترتبط بشكل كامل بالسياسة الخارجية والعمل في جميع أنحاء العالم.

ولأجل التذكير بأفضال المغرب الكثيرة على الجانب الإسباني، ذكرت الرباط الوزيرة الإسبانية بأنه في سنة 2008، عندما كانت إسبانيا في أوج الأزمة الاقتصادية، قدم المغرب إعفاءات لاستقبال العمال ورجال الأعمال الإسبان بالمملكة بصدر رحب مع تمكينهم من الاستقرار وممارسة نشاطهم بها.

يبدو أن الوزيرة لم تنصت جيدا إلى أصحاب القرار عندما اعترفوا بأن هناك صعوبات طبيعية مرتبطة بالجوار وحقمية الجغرافيا، بما في ذلك أزمات دورية تتعلق بالهجرة، لكن ذلك لا ينبغي أن ينسي الجميع أبدا أن التضامن هو الشراكة، وأن حسن الجوار والصداقة مرتبطان بالثقة والمصادقة، وذلك التضامن هو ما أظهره المغرب دائما تجاه إسبانيا.

المقبلة، لكن يبدو أن السيدة عديدة جدا، خصوصا أنها تقول مكابرة إنها قد عرفت العديد من الأزمات في مهامها المختلفة وتغلبت عليها. ولعل غونزاليس لايا، بالفعل، تمتلك العديد من العلاقات الشخصية مع الوزراء ورؤساء الحكومات العالمية، استثمرت فيها من خلال عملها رئيسة مركز التجارة الدولية، ويبدو أنها ركزت إلى تلك الشبكة للانفراد بقرار العلاقات الخارجية لبلدها فكانت نتائجه كارثية إلى حد الساعة واستطاعت بناء جبل جليدي غير متوقع مع المغرب، وباعتراف أبناء بلدها.

بصمت غونزاليس لايا، على ورقة العداوة مع المغرب، وربما لن يزول هذا الانطباع من نفسية هذه المرأة التي ستظل معارضة لمصالح المغرب، حتى وإن لم تبق على رأس الدبلوماسية الإسبانية، حيث أن هناك من يتوقع عودتها للاستغلال في مؤسسات الاتحاد الأوروبي ببروكسل، إذ سبق لها أن شغلت مناصب مختلفة داخل المفوضية الأوروبية في سياق التفاوض على الاتفاقيات ومساعدة الدول النامية من عام 2002 إلى عام 2004، وحينها ستكون تجربتها مع المغرب فريدة وقاسية.

السيادة والثقة

قبل أن تتولى حقيبة الخارجية كانت غونزاليس لايا تتحدث عن ضرورة الدفاع عن مفهوم السيادة في القرن الحادي والعشرين مع مراعاة الثورة التكنولوجية والترابط والتداخل بين المجتمعات والدول سواء في الاقتصاد أو التجارة أو الأمن. وكانت تقول إن السيادة لا تعني العودة إلى الانعزالية، بل على العكس من ذلك، يمكن استخدامها لتعزيز تعاون دولي أكثر ذكاء. لكن عندما سنحت الفرصة لتطبيق تصوراتها كمسؤولة حكومية، أبانت عن التناقض بين

التنظير والواقع العملي بعدما اعترضت على اعتراف واشنطن بسيادة المغرب على صحرائه وأيضا امتعاضها من دفاع المغرب عن حدوده البرية والبحرية.

والأدهى أن غونزاليس لايا كشفت تناقضات حكومتها، عندما قالت إن غالي يجب أن يرد على الاتهامات الموجهة إليه أمام المحكمة العليا الإسبانية، مشترطة أن يتم ذلك عقب تعافيه من مشاكله الصحية. وفي النهاية تم السماح له بمغادرة البلاد تحت جنح الظلام دون أن يمر على أنظار قضاة المحكمة العليا، وهذا ما جعل الأزمة بين الرباط ومadrid تزداد تعقيدا، ما يؤكد أن كلامها عن أن "المغرب شريك له أولوية، وأن العلاقات معه جيدة"، مجرد تميويه سياسي لكسب الوقت.

تحدثت الوزيرة الإسبانية لغة الباسك والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، لكن تصريحاتها التي ساققتها لتبرير دخول غالي إلى بلدها كانت مغلوطة وغير ملائمة، ما دفع سفيرة المغرب في مدريد كريمة بنيغيش، إلى القول "لا يمكن إلا أن نعبر عن الأسف للطابع البائس وللانفعال والعصية التي رافقت تلك التصريحات". وأضافت الدبلوماسية المغربية قولها "بحق لنا التساؤل عما إذا كانت هذه التصريحات الأخيرة خطأ شخصي للسيدة الوزيرة، أو أنها تعكس النوايا الحقيقية لبعض الأوساط الإسبانية المعادية للوحدة الترابية للمملكة، القضية المقدسة للشعب المغربي ولكل القوى الحية للأمة".

فهل سيكون اعترافها بالضعف بداية لتعاطيها مع الأزمة الدبلوماسية والسياسية بين بلدها والمغرب بشكل أكثر واقعية وتواضع، خصوصا وأن لها نصيبا وفيرا في زيادة إشغال قلبها؟ سؤال سيكون سنجيب عنه الأيام

معرفة الواسعة بالعلاقات الدولية والتجارة والاقتصاد، لم تؤهلها للتعامل الموضوعي والاستشرافي مع الجار المغربي، الشريك التجاري الذي تربطه بإسبانيا اتفاقيات اقتصادية وأمنية وسياسية، وتعتمد عليه مدريد في ملفات الإرهاب والهجرة غير النظامية وغيرها، فدفع فشلها هذا خصومها السياسيين إلى شحذ سكاكينهم لإسقاطها من منصبها الحكومي.

أصبح رأس المسؤولية الحكومية مطلوبيا سياسيا لدى المعارضة وجزء من الأغلبية، ما دفع الأمين العام لحزب الشعب ثيودورو غارسيا إيجيا، إلى القول إن على الوزيرة تقديم استقالته بسبب "الإدارة الكارثية لهذه القضية"، مؤكدا أن حكومة سانثيز تصرفت بشكل مؤسف لأنها لم تدبر بشفاقة دخول وخروج إبراهيم غالي، مضيفا قوله إنها "لم تشرح بوضوح ما هي المشكلة الحقيقية".

وكشفت صحف محلية أن وزير الداخلية فرناندو غراندي مارلاسكا، حذر زميلته في الحكومة غونزاليس لايا، من أن استقبال زعيم البوليساريو سيكون خطأ جسيما ستكون له عواقب على العلاقات المغربية، لاسيما وأن التحقيق القضائي يلقي بثقله، كما أن مارلاسكا الذي تربطه علاقات وثيقة مع الرباط في مجال الهجرة، اشتم رائحة أزمة دبلوماسية.

بعد خروج غالي من البلد اختفت الوزيرة الإسبانية وتجنبت أي تصريحات في الموضوع رغم شغفها بإعطاء حوارات والظهور الإعلامي، وهي التي كانت بمثابة رأس حربة حكومة سانثيز في ما يتعلق بظروف الأزمة الحالية مع المغرب، ولم تستمع لأي نصيحة تحذرنا من الإقدام على السماح لزعيم البوليساريو بالنزول في أحد مستشفيات بلدها.

النقطة التي أفاضت الكأس

كانت الرباط صارمة وواضحة في ما يخص حيثيات السماح لغالي بالدخول إلى إسبانيا بجواز سفر وهوية مزورين، واعتبرت السلطات المغربية أن هذا الفعل "خطير ويخالف روح الشراكة وحسن الجوار". ولكن رد وزيرة خارجية إسبانيا كانت تعوزه الكثير من الحكمة والحياسة، عندما قالت إننا "وعدنا بتقديم استجابة إنسانية لهذا الشخص، لقد كان في وضع حرج بسبب مشاكله الصحية المتعددة بما في ذلك إصابته بفايروس كورونا". لكن الجميع تساءل؛ كيف تم إدخال شخص مطلوب من طرف القضاء الإسباني بتلك الطريقة التي يتم بها تهريب المخدرات؟

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

على الرغم مما يتسرب من ادعاءات للأزمة الدبلوماسية بين المغرب وإسبانيا، بعد السماح لزعيم البوليساريو بالعودة إلى الجزائر دون أن يتم تقديمه للقضاء بسبب جرائمه ضد الإنسانية، وما كشفت عنه صحيفة "أوك دياريو"، قبل ساعات من أن الحكومة الإسبانية تعمل على طرح تشكيل وزاري جديد قد يطيح بوزيرة الخارجية أرانشا غونزاليس لايا لمعالجة الضرر الفادح الذي تسببت به، إلا أن الأزمة لم تبحر مكائها.

وكانت غونزاليس لايا قد زادت من تسميم الأجواء بفعل قراراتها وتصريحاتها التي أغضبت الرباط وتسببت في دفع العلاقات الثنائية إلى حافة القطيعة التامة.

بعد تركها منصبها كمديرة لمركز التجارة الدولية توقعت غونزاليس لايا، التي عينت وزيرة للخارجية في حكومة الاشتراكي بيدرو سانثيز، حدوث تغيير جذري في حياتها التي بلغت فيها اثنين وخمسين عاما، فاصطدمت بكوفيد - 19 كاسوأ أزمة صحية عرفها العالم منذ انفلونزا الإسبانية، إذ بعد بلدها الدولة الأكثر تضررا من الوباء، لتساهم أخيرا في تفويض العلاقات الثنائية مع المغرب كاحد إنجازاتها الدبلوماسية الفاشلة.

في مهب العاصفة

غونزاليس لايا محامية دشتت حياتها المهنية في القطاع الخاص، وبالرغم من أنها حصلت على إجازة في القانون من جامعة نافارا ودرجة دراسات عليا في القانون الأوروبي من جامعة كارلوس الثالث في مدريد، إلا أن خبرتها خانقتها في اختيار الأسلوب الأمثل للتعاطي مع تطورات الأزمة مع جارها الجنوبي المغرب. ويبدو أن

رأس الوزيرة مطلوب سياسيا هذه الأيام، لدى المعارضة وجزء من الأغلبية، وقد طالبها الأمين العام لحزب الشعب، ثيودورو غارسيا إيجيا، علانية بتقديم استقالته بسبب الإدارة الكارثية للأزمة مع المغرب، حسب قوله، مؤكدا أن حكومة بيدرو سانثيز «تصرفت بشكل مؤسف»